بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس التاسع

١٤٤٠/٤/١٢

فصلٌ

ورأس مال الأمر وعموده في ذلك إنما هو دوام التفكر وتدبر آيات القرآن، بحيث يستولي علىٰ الفكر، ويشغل القلب، فإذا صارت معاني القرآن مكان الخواطر في قلبه وهي الغالبة عليه، بحيث يصير إليها مفزعُه وملجؤه، تمكّن حينئذٍ الإيمان من قلبه، وجلس علىٰ كرسيه، وصار له التصرُّف، وصار هو الآمر المطاع أمره، فحينئذٍ يستقيمُ له سيره، ويتَّضح له الطريق، وتراه ساكنًا وهو يباري الريح ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [النمل:٨٨].

الحمد لله رب العالمين، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله صلىٰ الله وسلم عليه وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد.. لمَّا ذكر الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ ما يتعلَّق بزاد المسافر في هذا الطريق - طريق السير إلىٰ الله تبارك وتعالىٰ والدار الآخرة - ولما ذكر أيضًا الطريق والمَركب، عقد هذا الفصل المُختصر في بيان (رأس مال) المرء في هذا السير إلىٰ الله وفي هذا الطريق الذي هو سائرٌ فيه إلىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فما رأس مال المرء في سيره إلىٰ الله تبارك وتعالىٰ؟ ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنّ ذلك إنما هو (دوام التفكر وتدبر آيات القرآن)، التفكر في آيات القرآن والتدبر في معانيه وهداياته، وأنّ هذا التدبر لكتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كلما كان أمكن في قلب العبد مهتديًا بهدايات القرآن، كان ذلك أقوىٰ في سيره إلىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وعلىٰ العكس من ذلك كلما ضعُفت العناية بالقرآن ضعُف السير إلىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ومن عُدم فيه ذلك كان سيره إنما هو إلىٰ الوراء والتقهقر إلىٰ الخلف! قال الله تعالىٰ: ﴿قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ۝٦٦﴾ [المؤمنون]، ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ﴾ [المؤمنون:٦٨]، أي: لو أنّهم تدبروا القول لما نكصوا علىٰ الأعقاب، ومفهوم المخالفة للآية أنّ تدبر القرآن والعناية بالتأمل في معانيه وهداياته يُقوي من سير المرء إلىٰ الأمام في سيره إلىٰ الله تبارك وتعالىٰ والدار الآخرة.

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إنما هو دوام التفكر وتدبر آيات القرآن، بحيث يستولي علىٰ الفكر)، بحيث يكون هذا التدبر مُستوليًا علىٰ فكر المرء، بحيث يكون المرء مشغولًا بهدايات القرآن ومعانيه العظيمة ودلالاته المباركة، ثم يكون مفزعًا وملجًا له في كل نائبة، كل ما نابه أمر فزع إلىٰ القرآن يهتدي بهداياته، وهذا الفزع إلىٰ القرآن أنواع كثيرة، يعني مثلًا: عندما يُوفق العبد إلىٰ الطاعة والعبادة، فينظر إلىٰ هدايات القرآن في هذا التوفيق، يجد أنّ

القرآن يهديه إلىٰ أنّ هذه نعمة الله عليه، وأنّ هذا فضل الله ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [النور:٢١]، ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ [النساء:٨٣]، فإذا نظر في هداية القرآن يعرف أنّ هذا التوفيق للطاعة هو منة الله، فيهديه القرآن إلىٰ الشكر والثناء علىٰ المُنعم وسؤاله المزيد من الفضل والتوفيق.

إذا وقع في معصية مثلًا، يجد أنّ هدايات القرآن له تهديه إلىٰ التوبة والإنابة ومسارعة الرجوع إلىٰ الله ﷻ، إذا حلت به مصيبة ونزلت به نازلة يجد أنّ القرآن يهديه إلىٰ الصبر والاحتساب ورجاء موعود الله ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن:١١]، إذا أكرمه الله بنعمة ومنّ عليه بمنة يهديه القرآن إلىٰ أنّ هذه النعمة هي محض فضل الله عليه، ويهديه إلىٰ شكر المُنعم، ويهديه إلىٰ استعمالها في طاعة المُنعم... وهكذا لا يزال المؤمن في أحواله وتقلباته وأموره يفزع إلىٰ القرآن ويلجأ إلىٰ القرآن ليهتدي بهداياته، في كل أمر وفي كل حال وفي كل شأن من شؤونه، فإذا كان المرء علىٰ هذا الحال مُتدبرًا للقرآن مهتديًا بهداياته يفزع إلىٰ القرآن في نوائبه وأموره وأحواله وتقلباته، مهتديًا بهداياته، لا شك أنه علىٰ هذه الحال يرتقي من خيرٍ إلىٰ خير، ومن كمالٍ إلىٰ كمال، ومن فضلٍ إلىٰ فضل.

يقول ابن القيم رحمه الله واصفًا حال من كان كذلك قال: (تمكّن حينئذٍ الإيمان من قلبه، وجلس) أي الإيمان (علىٰ كرسيه، وصار له التصرف)، ومعلومٌ أنّ تصرفات البدن فرعٌ عما يكون في القلب؛ بل إنّ البدن لا يتخلف إطلاقًا عن مرادات القلب، فهو تابعٌ له تبعية تامة، وهذا واضح في الحديث، قال عليه الصلاة والسلام: «**أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ**» [متفق عليه]، فإذا تربّع الإيمانُ علىٰ كرسيّ القلب وتمكّن من قلب المُؤمن، وقُل بعبارةٍ أخرىٰ قل: إذا عُمِر القلب بالإيمان، ومُلِء إيمانًا، أيُّ شيءٍ سيكون البدن حينئذٍ في أعماله وأحواله وتصرُّفاته؟ قال: (صار له التصرف، وصار هو الآمر المُطاع أمره)، لماذا المُطاع أمره؟ لأنّ البدن لا يتخلّف إطلاقًا عن مُرادات القلب، إن استقام القلب استقام البدن، وإن انحرف القلب انحرف البدن؛ لأنّ البدن تابع للقلب تبعية تامة، فإذا عُمِر القلب بالإيمان يُصبح الآمر الناهي المُطاع أمره، (فحينئذٍ يستقيم له سيره، ويتضح له الطريق، وتراه ساكنًا وهو يباري الريح)، أي في سرعة سيره إلىٰ الله ﷻ.

فصلٌ

فإن قلت: إنك قد أشرت إلىٰ مقامٍ عظيمٍ، فافتح لي بابه، واكشف لي حجابه، وكيف تدبّر القرآن وتفهّمه والإشراف علىٰ عجائبه وكنوزه؟ وهذه تفاسير الأئمة بأيدينا، فهل في البين غير ما ذكروه؟

قلت: سأضرب لك أمثالًا تحتذي عليها، وتجعلها إمامًا لك في هذا المقصد.

قال الله تعالىٰ: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ۝٢٤ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ۝٢٥ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ۝٢٦ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ۝٢٧﴾ إلىٰ قوله: ﴿ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٣٠﴾ [الذاريات] فعهدي بك إذا قرأت هذه الآيات، وتطلّعت إلىٰ معناها وتدبرتها، فإنما تطلع منها علىٰ أنّ الملائكة أتوا إبراهيم في صورة أضيافٍ يأكلون، وبشّروه بغلام عليم، وأنّ امرأته عجبت من ذلك، فأخبرتها الملائكة أنّ الله قال ذلك، ولم يجاوز تدبرك غير ذلك.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (فصلٌ، فإن قلت: إنك قد أشرت إلىٰ مقامٍ عظيم)، الذي هو مقام التدبر للقرآن، ومن ثَم الاهتداء بهداياته العظيمة، (فافتح لي بابه، واكشف لي حجابه، وكيف تدبّر القرآن وتفهّمه والإشراف علىٰ عجائبه وكنوزه؟) ثم ضرب مثالا من آيات في سورة الذاريات، أخذ يذكر معانيها وكنوزها وما يُستنبط منها من دلالات وهدايات وآداب وعقائد... إلىٰ غير ذلك، يستنبط معاني يقرؤها المرء مُتأملًا هذه المعاني العظيمة المُستنبطة من هذه الآيات، ويشعر كأنه يقرأ هذه الآيات لأوَّل مرة! وكيف أنها مليئة بهذه الكنوز وهو كان يقرؤها المرّات ولا يعرف أنّ فيها هذه المعاني.

وقصد ابن القيم بهذا المثال تنشيط الهِمم والعزائم إلىٰ العناية بتدبُّر القرآن، والاهتداء بهداياته؛ لكن ينبغي أن يُضبَط هذا الأمر، وإلا يحصل انفلاتٌ عظيم وقولٌ علىٰ الله وفي كتابه سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بلا علم تحت هذا المعنىٰ (التدبر للقرآن)، وكم من الأشياء التي خرجت علىٰ الناس خاصة في هذا الزمان - في زماننا - أشياء كثيرة هي من العجائب؛ بل من المنكرات! ويُسمِّيها أربابها وأصحابها تدبر للقرآن، واهتداء بهداياته، وفتقٌ لكنوزه بزعمهم - كنوز القرآن -! وهذا لو عُرضت أمثلته من الواقع يرىٰ الإنسان العَجب العُجاب، والغرائب الكثيرة، حتَّىٰ إنّ كثيرًا أصبح يأتي إلىٰ وقائع وحوادث في هذا الزمان ويتكلَّف باستخراج دلالة للقرآن أو إشارة للقرآن إلىٰ تلك الوقائع، بتكلُّفات عجيبة وغريبة للغاية، وهذا كما أشرتُ أمثلته كثيرة جدًّا في واقع النَّاس، فإذا لم يُضبط هذا الباب بقواعد تؤصِّل المرء وتُعينه علىٰ حُسن التدبُّر، حسن الفهم لكتاب الله سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وإلا ينزلق ويقول في كتاب الله بغير علم.

قد قال صدّيق الأمة: أي أرضٍ تُقلني وأي سماءٍ تظلني إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم!

وهو سُئل عن مسألة يسيرة جدًّا عندنا، ولو طُرحت علىٰ كثيرٍ من الناس لَكلٌّ أجاب برأي ولا يتردد في ذلك، فلابدّ من ضبْط الأمر وإلا يحصل كما ذكرتُ انحرافات، والعلماء رحمهم الله كتبوا قواعد في هذا الباب، ومن أحسن ما يُنصح به في هذا المقام كتاب «القواعد الحِسان»، للإمام ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ، «القواعد

الحِسان لتفسير آي القرآن» هذه قواعد مهمة جدًّا في باب التفسير، وأيضًا يُستفاد منها في هذا الأمر الذي هو التدبر.

والتدبُّر لا يكون بمعزل عن كلام أهل العلم وكلام المفسِّرين، وقد وُجد في زماننا هذا من يقول: إذا أردت أن تتدبَّر الآيات وتستخرج هداياتها، فلا تنظر لكتُب التفسير إطلاقًا، وركز علىٰ الآية وكرِّر معانيها واستظهر منها بنفسك! وهذا توريط للعوام والجُهال والمبتدئين، توريط لهم لأن يقولوا في كتاب الله ﷻ بلا علم، وإدخالهم في منزلق خطير جدًّا!

لابد من أمرين في هذا الباب: لابد من مطالعة قواعد أهل العلم في التفسير ومعرفة القرآن وهداياته، ولابد أيضًا من الرجوع إلىٰ كتب التفسير المعتمدة والقراءة فيها، حتىٰ يكون الفهم منضبطًا بضوابط أهل العلم ماضيًا علىٰ مسلكهم وطريقتهم.

وهذه الوصية كتبها ابن القيم إلىٰ رفقاء له في طلب العلم، وسيأتي تنصيصه لاحقًا علىٰ ذلك رحمه الله تعالىٰ.

ذكر هذا المثال - الآيات من سورة الذاريات - بدأ من قوله: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٤﴾ [الذاريات]، والآيات بعدها، ثم قال: (عهدي بك) أنك إذا قرأتها يعني لا يعدو فهمك وتدبرك لهذه الآيات إلا المعنىٰ الظاهر، الذي يؤخذ من ظاهر القراءة لهذه الآيات، دون غوص في المعاني واستخراج الكنوز والحِكم والأسرار التي تحتوي وتشتمل عليها هذه الآيات، ثم أطال النفَس رحمه الله تعالىٰ في ذكر أمثلة أو معاني عظيمة مُستنبطة من هذه الآيات، مثالًا ضربه رحمه الله في هذا الباب.

فاسمع الآن بعض ما في هذه الآيات من الأسرار، وكم قد تضمنت من أنواع الثناء علىٰ إبراهيم، وكيف جمعت آداب الضيافة وحقوقها، وكيف يُراعىٰ الضيف، وما تضمَّنت من الرد علىٰ أهل الباطل من الفلاسفة والمعطلة، وكيف تضمَّنت عَلَمًا عظيمًا من أعلام النبوة، وكيف تضمنت جميع صفات الكمال التي مردّها إلىٰ العلم والحكمة، وكيف أشارت إلىٰ دليل إمكان المعاد بألطف إشارة وأوضحها، ثم أفصحت بوقوعه، وكيف تضمَّنت الإخبار عن عدل الرب وانتقامه من الأمم المكذّبة، وتضمَّنت ذكر الإسلام والإيمان والفرق بينهما، وتضمَّنت بقاء آيات الرب الدالة علىٰ توحيده، وصِدق رسله، وعلىٰ اليوم الآخر، وتضمَّنت أنه لا ينتفع بهذا كله إلا من في قلبه خوفٌ من عذاب الآخرة، وهم المؤمنون بها، وأمَّا من لا يخاف الآخرة ولا يؤمن بها، فلا ينتفع بتلك الآيات، فاسمع الآن بعض تفاصيل هذه الجملة.

هذه أسئلة ذكرها رحمه الله يستثير فيها الأذهان قبل الدخول في بيان المعاني، كم تضمنت من كذا؟ وكيف أتت بقواعد الضيافة وكرم الضيف؟ وماذا فيها من أعلام النبوة؟ وما يتعلق بصفات الله؟ وكذا، أشياء كثيرة يستثير

الأذهان مُنبّهًا أنّ هذه الآيات تشتمل علىٰ هذه المعاني، ثم دخل بعد ذلك إلىٰ التفاصيل قال: (فاسمع الآن بعض تفاصيل هذه الجملة).

قال الله تعالىٰ: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٤﴾ [الذاريات] افتتح الله سبحانه القصة بصيغة موضوعة للاستفهام، وليس المراد به حقيقته من الاستفهام، ولهذا قال بعض الناس: إنّ ﴿هَلۡ﴾ في مثل هذا الموضع بمعنىٰ (قد) التي تقتضي التحقيق، ولكن في ورود الكلام في مثل هذا الاستفهام سر لطيف ومعنىٰ بديع، فإنّ المتكلم إذا أراد أن يخبر مخاطبه بأمر عجيب ينبغي الاعتناء به، وإحضار الذهن له، صدّر له الكلام بأداةٍ تنبّه سمعه وذهنه للخبر، فتارةً يصدّره بـ (ألَا) وتارةً يصدّره بـ (هل)، فيقول: هل علمت ما كان من كيت وكيت؟ إما مذكّرًا به، وإما واعظًا له مخوّفًا، وإما منبّهًا علىٰ عظمة ما يخبَر به، وإما مقرّرًا له، فقوله تعالىٰ: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ١٥﴾ [النازعات]، ﴿وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ﴾ [ص:٢١]، و﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ ١﴾ [الغاشية]، و﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٤﴾ [الذاريات] متضمِّنٌ لتعظيم هذه القَصص، والتنبيه علىٰ تدبرها، ومعرفة ما تضمَّنته.

يعني هذا الاستفهام له معنىٰ عظيم جدًّا، صُدرت به هذه القصة وصُدرت به أيضًا قصص عديدة في القرآن، وكما ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ أنّ هذه أسلوب مُستعمل عندما يريد المرء أن يذكر خبرًا عظيمًا مهمًّا يريد أن يشد انتباه السامع إليه يبدؤه بالاستفهام، فهذا الاستفهام له غرض، واستظهر رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ أنّ غرض الاستفهام هنا تعظيم هذه القصص، وبيان عِظم شأنها، رب العالمين جلّ في علاه يبدأ هذه القصص بهذا الاستفهام ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ﴾ فهي فيها تشويقٌ لها وتعظيمٌ لشأنها وبيانٌ لعِظم أهميتها.

وفيه أمرٌ آخر، وهو التنبيه علىٰ أن إتيان هذا إليك عَلَمٌ من أعلام النّبوة؛ فإنه من الغيب الذي لا تعلمه أنت ولا قومك، فهل أتاك من غير إعلامنا وإرسالنا وتعريفنا أم لم يأتك إلا من قِبَلِنا؟ فانظر ظهور هذا الكلام بصيغة الاستفهام، وتأمَّل عِظَمَ موقعه في جميع موارده يشهد أنه من الفصاحة في ذروتها العليا.

وقوله: ﴿ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٤﴾ متضمنٌ لثنائه علىٰ خليله إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فإن في ﴿ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٤﴾ قولين:

أحدهما: إكرام إبراهيم لهم، ففيه مدحٌ له بإكرام الضيف.

والثاني: أنهم مُكرَمون عند الله، كقوله: ﴿بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ٢٦﴾ [الأنبياء].

وهو متضمنٌ أيضًا لتعظيم خليله ومدحه، إذ جعل ملائكته المُكرمين أضيافًا له. فعلىٰ كلا التقديرين فيه مدح لإبراهيم.

نعم، قوله: ﴿ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٤﴾ ذكر أنّ في معنىٰ هذه الآية قولين:

قيل: ﴿ٱلۡمُكۡرَمِينَ﴾ أي الذين أكرمهم إبراهيم.

وقيل: ﴿ٱلۡمُكۡرَمِينَ﴾ أي: عند الله، لهم كرامة ومكانة عند الله ﷻ.

قال: و(علىٰ كلا) المعنيين (والتقديرين فيها مدح لإبراهيم)، أمّا علىٰ الأول فظاهر، لأنّ هذا فيه ثناء عليه بالإكرام إكرام الضيف، وعلىٰ المعنىٰ الثاني أنهم مكرمون عند الله، ففيه أيضًا مدح لإبراهيم من جهة تعظيم إبراهيم الخليل، بأن جعل الله ملائكته المكرمين أضيافًا لخليله إبراهيم عليه السلام.

وقوله تعالىٰ: ﴿فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ﴾ متضمن لمدحٍ آخر لإبراهيم، حيث ردّ عليهم أحسن مما حيّوه به، فإنّ تحيتهم باسمٍ منصوبٍ متضمن لجملةٍ فعليّةٍ تقديره: سلَّمنا عليك سلامًا، وتحية إبراهيم لهم باسمٍ مرفوعٍ متضمِّن لجملةٍ اسميّةٍ، تقديره: سلامٌ ثابتٌ أو دائمٌ أو مستقرٌّ عليكم. ولا ريب أنّ الجملة الاسمية تقتضي الثُّبوت واللزوم، والفعلية تقتضي التجدُّد والحدوث، فكانت تحية إبراهيم أكمل وأحسن.

والله ﷻ في شأن التحية قال: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٖ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآۗ﴾ [النساء:٨٦]، وعلىٰ هذا التقرير الذي ذكر ابن القيم رحمه الله، فإنّ الذي فعله خليل الرحمن هو الأحسن ﴿أَحۡسَنَ مِنۡهَآ﴾ فحياهم بتحيةٍ أحسن من التحية التي حيَّوه بها.

ثم قال: ﴿قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ٢٥﴾، وفي هذا من حسن مخاطبة الضيف والتذمّم منه وجهان من المدح:

أحدهما: أنه حذف المبتدأ، والتقدير: أنتم منكرون، فتذمّم منهم.

هذه يعني لابد أن تستحضر أنّها صعبة جدًّا، يعني حسن مخاطبة وتذمم هذه صعبة جدًّا، يعني قد يصل الإنسان إلىٰ حسن المخاطبة، وقد يغلب عليه التذمم فلا يكون في الخطاب حسن مخاطبة، فهذا الذي ذكر في قوله: ﴿قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ٢٥﴾ فيه حسن مخاطبة والتذمم منهم.

وفي هذا من حسن مخاطبة الضيف والتذمّم منه وجهان من المدح:

أحدهما: أنه حذف المبتدأ، والتقدير أنتم منكرون، فتذمّم منهم ولم يواجههم بهذا الخطاب لما فيه من بعض الاستيحاش، بل قال: ﴿قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ٢٥﴾، ولا ريب أنّ حذف المبتدأ في هذا من محاسن الخطاب، وكان النبي ﷺ لا يواجه أحدًا بما يكرهه، بل يقول: «ما بال أقوامٍ يقولون كذا، ويفعلون كذا».

والثاني: قوله: ﴿قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ٢٥﴾، فحذف فاعل الإنكار، وهو الذي كان أنكرهم، كما قال تعالىٰ في موضع

آخر ﴿نَكِرَهُمْ﴾، ولا ريب أنّ قوله: ﴿مُّنكَرُونَ﴾ ألطف من أن يقول: أنكرتكم.

يعني علىٰ التقديرين، لم يقل علىٰ التقدير الأول: أنتم قومٌ منكرون، وعلىٰ التقدير الثاني لم يقل: أنكرتكم، فقوله: ﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ۝٢٥﴾ ألطف من هذا وهذا.

وقوله: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ۝٢٦ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ۝٢٧﴾ متضمنٌ وجوهًا من المدح، وآداب الضيافة، وإكرام الضيف، منها قوله: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾ والروغان: الذهاب في سرعة واختفاءٍ، وهو يتضمن المبادرة إلىٰ إكرام الضيف، والاختفاء ترك تخجيله وألا يعرّضه للحياء، وهذا بخلاف من يتثاقل، يتبارد علىٰ ضيفه، ثم يبرز بمرأًىٰ منه، ويحلّ صرّة النفقة، ويزن ما يأخذ، ويتناول الإناء بمرأىٰ منه، ونحو ذلك مما يتضمن تخجيل الضيف وحياءه، فلفظ ﴿رَاغَ﴾ تنفي هذين الأمرين.

نعم، تنفي هذين الأمرين: التثاقل والتبارد في الذهاب لإكرام الضيف، وتنفي أيضًا المعنىٰ الثاني: أن (يبرز بمرأىٰ منه) ويُظهر إكرامه له يعني بمرأىٰ منه، يعد الدراهم أمامه مثلًا، ويُسمي مثلًا الأشياء التي يريدها أمامه... أو نحو ذلك، هذا فيه تخجيل للضيف وإحراج له، بخلاف إذا قام سريعًا وأتىٰ بالميسور وقربه إليه، فهذا فيه مراعاة للضيف في طريقة إكرامه، لأنّ من الإكرام ما يكون فيه تخجيل للضيف وإحراج له وإثقال عليه، وهذا أمرٌ ينبغي أن يُجتنب في إكرام الضيف، وهو الذي صنعه خليل الرحمن عليه السلام.

وفي قوله: ﴿إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾ مدحٌ آخر، لما فيه من الإشعار بأنّ كرامة الضيف معدّةٌ حاصلةٌ عند أهله، وأنه لا يحتاج أن يستقرض من جيرانه، ولا يذهب إلىٰ غير أهله، إذ نُزُلُ الضيفِ حاصل عندهم.

يقول: لا يحتاج أن يستقرض من جيرانه ولا يذهب إلىٰ غير أهله، لكن الشغل الآن كله علىٰ المطاعم! فالحاصل أنّ إكرام الضيف من البيت هذا له شأن، وله مذاقه، وله أيضًا طعمه الطيب عند الضيف، ولهذا بعض الناس إذا أراد أن يتحفّىٰ بضيف يقول: هذا شغل البيت، هذا عمل البيت، هذا أعددناه في البيت، هذا هيأه الأهل في البيت... مثل هذا له طعمه ومذاقه ووقعه في نفس الضيف، وأيضًا من ناحية أخرىٰ يجد الضيف أنه ليس هناك إثقالٌ حصل علىٰ من أكرمه، وتكلُّف بأن استفزع بالجيران أو... إلىٰ غير ذلك، وإنما أتىٰ له بشيءٍ موجود ضيافة موجودة عنده في بيته.

وقوله: ﴿فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ۝٢٦﴾ يتضمن ثلاثة أنواع من المدح:

أحدها: خدمة ضيفه بنفسه، فإنه لم يرسل به، وإنما جاء به بنفسه.

الثاني: أنه جاءهم بحيوان تام لم يأتهم ببعضه، ليتخيّروا من أطايب لحمه ما شاءوا.

الثالث: أنه سمين ليس بمهزولٍ، وهذا من نفائس الأموال، ولد البقرة السمين، فإنهم يعجبون به، فمن كرمه هان عليه ذبحه وإحضاره.

في سورةٍ أخرىٰ وصفه بأنه ﴿حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾﴾ أي مشوي، ويعني هذا أيضًا ذُكر أنه أطيب ما يكون في تقديم اللحم وطهيه وإعداده، وأنفع في فائدته عندما يكوم مشويًّا، قال ﴿عِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾﴾ [هود].

ﷺ

وقوله: ﴿إِلَيْهِمْ﴾ متضمنٌ لمدحٍ وأدبٍ آخر، وهو إحضار الطعام إلىٰ بين أيدي الضيف، بخلاف من يُهيّئ الطعام في موضع، ثم يقيم ضيفه، فيورده عليه.

والآن كثير من البيوت قائمة علىٰ هذا الأمر، يعني يُهيئون مجلسين مجلس للاستقبال ومجلس للطعام، ثم يطلب من الضيف أن ينتقل من مجلس الاستقبال إلىٰ مجلس الطعام، والذي كان من إبراهيم أن قرّب له الطعام عنده لم يجعله ينتقل من مكانٍ إلىٰ آخر ﴿فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ﴾ قرّبه إلىٰ أضيافه، وهذه الطريقة كما أنها أوقع في الكرم، أسلم من الكُلفة الحاصلة ببناء غرفة مخصصة من ابتداء إنشاء البيت للطعام، يُنقل إليها الضيف للطعام، فهذا فيه توفير من جهة غرفة كاملة يوفرها الإنسان علىٰ نفسه لا يتكلف بناءها لأنه لا يحتاج إليها، إلا أن يُنقل الضيف من مكان لمكان، فإذا قُرِّب إليه هذا أوقع في الكرم من أن يُنقل هو من مكانٍ إلىٰ آخر.

ﷺ

وقوله: ﴿قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ فيه مدحٌ وأدب آخر، فإنّه عرض عليهم الأكل بقوله: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ وهذه صيغة عرضٍ مؤذنة بالتلطف، بخلاف من يقول: ضعوا أيديكم في الطعام، كلوا، تقدموا، ونحو ذلك.

لا بعض الناس يجيب كلام أصعب من هذا! بعضهم يجيب صعب جدًّا، يعني حتىٰ أنّ اللقمة ما تدخل إلا بشق الأنفس من الألفاظ التي قد تقال.

﴿أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ هذا لطف، لطف في الخطاب، لطف رقيق كلام لطيف، لكن لو يقول: كُل! أو يأتيه بعبارة أشد من هذا، يأكل ونفسه قد تعاف الشيء الذي يأكله.

ﷺ

وقوله: ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ لأنه لما رآهم لا يأكلون من طعامه أضمر منهم خوفًا أن يكون منهم شر، فإنّ الضيف إذا أكل من طعام ربّ المنزل اطمأنّ إليه وأنس به، فلما علموا منه ذلك ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾﴾ [الذاريات]، وهذا الغلام إسحاق لا إسماعيل، لأن امرأته عجبت من ذلك ﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ [الذاريات] لا يولد لمثلي، فأنّىٰ لي بالولد؟ وأما إسماعيل فإنه من سرّيته هاجر، وكان بكره وأول ولده،

وقد بيّنَ سبحانه في سورة هود في قوله تعالىٰ: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾﴾ [هود]، في هذه القصة نفسها.

وقوله: ﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ فيه بيان ضعف عقل المرأة وعدم ثباتها، إذ بادرت إلىٰ النّدبة وصكّ الوجه عند هذا الإخبار. وقوله: ﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ فيه حسن أدب المرأة عند خطاب الرجال، واقتصارها من الكلام علىٰ ما يتأدىٰ به الحاجة، فإنها حذفت المبتدأ، فلم تقل: أنا عجوز عقيم، واقتصرت علىٰ ذكر السبب الدال علىٰ عدم الولادة، لم تذكر غيره، وأما في سورة هود فذكرت السبب المانع منها ومن إبراهيم، وصرّحت بالتعجب.

وقوله: ﴿قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ﴾ متضمن لإثبات صفة القول له. وقوله: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾﴾ متضمنٌ لإثبات صفة الحكمة والعلم اللذين هما مصدر الخلق والأمر، فجميع ما خلقه سبحانه صادرٌ عن علمه وحكمته، وكذلك أمره وشرعه مصدره عن علمه وحكمته. والعلم والحكمة متضمنان لجميع الكمال، فالعلم يتضمن الحياة ولوازم كمالها من القيومية، والقدرة، والبقاء، والسمع، والبصر، وسائر الصفات التي يستلزمها العلم التّام. والحكمة تتضمن كمال الإرادة، من العدل، والرحمة، والإحسان، والجود، والبر، ووضع الأشياء مواضعها علىٰ أحسن وجوهها، ويتضمن إرسال الرسل، وإثبات الثواب والعقاب، كلّ هذا يُعلم من اسمه ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ كما هي طريقة القرآن في الاستدلال علىٰ هذه المطالب العظيمة بصفة الحكمة، والإنكار علىٰ من يزعم أنه خلق الخلق عبثًا أو سدًىٰ أو باطلًا، فنفس حكمته تتضمن الشرع والقدَر، والثواب والعقاب، ولهذا كان أصحّ القولين أنّ المعاد يُعلم بالعقل، وأنّ السمع ورد بتفصيل ما يدل العقل علىٰ إثباته.

ومن تأمّل طريقة القرآن وجدها دالة علىٰ ذلك، وأنّ الله سبحانه يضرب لهم الأمثال المعقولة التي تدلّ علىٰ إمكان المعاد تارةً، ووقوعه أخرىٰ، فيذكر أدلة القدرة الدالة علىٰ إمكان المقدور، وأدلة الحكمة المستلزمة لوقوعه. ومن تأمل أدلّة المعاد في القرآن وجدها كذلك مغنيةً -بحمد الله ومنّته علىٰ عباده- عن غيرها، كافية شافية موصلةً إلىٰ المطلوب بسرعة، متضمّنة للجواب عن الشّبه العارضة لكثير من الناس. وإن ساعد التوفيق من الله كتَبْتُ في ذلك سفرًا كبيرًا، لما رأيت في الأدلة التي أرشد إليها القرآن من الشفاء، والهدىٰ، وسرعة الإيصال، وحسن البيان، والتنبيه علىٰ مواضع الشبه والجواب عنها بما ينثلج له الصدر، ويشرق معه اليقين، بخلاف غيره من الأدلة، فإنها علىٰ العكس من ذلك، وليس هذا موضع التفصيل.

والمقصود أنّ مصدر الأشياء خلقًا وأمرًا عن علم الرب وحكمته. واختصت هذه القصة بذكر هذين الاسمين لاقتضائها لهما، لتعجّب النفوس من تولّد مولودٍ بين أبوين لا يولد لمثلهما عادة، وخفاء العلم بسبب

هذا الإيلاد، وكون الحكمة اقتضت جريان هذه الولادة علىٰ غير العادة المعروفة، فذكر في الآية اسم العلم والحكمة المتضمن لعلمه سبحانه بسبب هذا الخلق وغايته، وحكمته في وضعه موضعه من غير إخلالٍ بموجب الحكمة.

ثمّ ذكر سبحانه قصة الملائكة في إرسالهم لإهلاك قوم لوط، وإرسال الحجارة المسوّمة عليهم، وفي هذا ما يتضمن تصديق رسله وإهلاك المكذّبين لهم، والدلالة علىٰ المعاد والثواب والعقاب، لوقوعه عِيانًا في هذا العالم، وهذا من أعظم الأدلة الدالة علىٰ صدق رسله وصحة ما أخبروا به عن ربهم.

ثمّ قال: ﴿فَأَخۡرَجۡنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٣٥ فَمَا وَجَدۡنَا فِيهَا غَيۡرَ بَيۡتٖ مِّنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝٣٦﴾ [الذاريات]، ففرّق بين الإسلام والإيمان هنا لسرٍّ اقتضاه الكلام، فإنّ الإخراج هنا عبارة عن النجاة، فهو إخراج نجاةٍ من العذاب، ولا ريب أن هذا مختصٌّ بالمؤمنين المتبعين للرسل ظاهرًا وباطنًا.

وقوله: ﴿فَمَا وَجَدۡنَا فِيهَا غَيۡرَ بَيۡتٖ مِّنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝٣٦﴾ لمّا كان الموجودون من المُخرجين أوقع اسم الإسلام عليهم، لأنّ امرأة لوط كانت من أهل هذا البيت، وهي مسلمةٌ في الظاهر، فكانت في البيت الموجودين لا في القوم الناجين. وقد أخبر الله سبحانه عن خيانة امرأة لوط، وخيانتها أنّها كانت تدلّ قومها علىٰ أضيافه وقلبها معهم، وليست خيانة فاحشةٍ، فكانت من أهل البيت المسلمين ظاهرًا، وليست من المؤمنين الناجين.

ومَن وَضَعَ دلالات القرآن وألفاظه موضعها تبين له من أسراره وحكمه ما يهزّ العقول، ويعلم معه تنزّله من حكيم حميد. وبهذا خرج الجواب عن السؤال المشهور، وهو أنّ الإسلام أعمّ من الإيمان، فكيف استثنىٰ الأعمّ من الأخصّ، وقاعدة الاستثناء تقتضي العكس؟ وتبين أنّ المسلمين مستثنين مما وقع عليه فعل الوجود، والمؤمنين غير مستثنين منهم، بل هم المخرَجون الناجون.

يعني في الفرق بين الإيمان والإسلام علىٰ القاعدة المعروفة، إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا، فهنا اجتمع الإسلام والإيمان في هذا السياق المتعلق بقصة إهلاك الملائكة لقوم لوط عليه السلام، فالله جلّ وعلا قال: ﴿فَأَخۡرَجۡنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٣٥﴾ هذا ذكر للمُخرَجين الناجين، المُخرَجين من القرية المُهلكة الناجين من عذاب الله وعقوبته ﷻ، فذكرهم هنا بوصف الإيمان الذي يدل علىٰ صحة المُعتقد واستقامة القلب علىٰ طاعة الله ﷻ، ذكرهم بهذه الصفة صفة الإيمان، وقال: ﴿فَمَا وَجَدۡنَا فِيهَا غَيۡرَ بَيۡتٖ مِّنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝٣٦﴾ الإسلام هو الظاهر، ظاهر العمل، فالملائكة لمّا جاءوا إلىٰ بيت لوط عليه السلام قالوا: ما وجدنا إلا بيت، لما جاءوا إلىٰ القرية قالوا: ما وجدنا إلا بيت من المسلمين، فوجود الملائكة، أو ما وجد الملائكة في القرية وجدوا بيتًا واحدًا من المسلمين، لأنّ هذا هو الظاهر، أنّ من في بيت لوط من أهل وذرية أهل إسلام هذا هو

الظاهر، لكنّ باطن امرأته هو الكفر، والله ﷻ في سورة التحريم ضربها مثلًا للكافرين، هي وامرأة نوح عليهما السلام، فباطنها الكفر، ولهذا في الإخراج ذكر الإيمان لأنها ليست معهم، لم تكن من المُخرجين، لكن فيمن وُجدوا في البيت ذكر وصف الإسلام لأنّ الإسلام حكمٌ على الظاهر، ففرّق بين الوصفين باختلاف الحالتين في الوصف، ففرّق بين الوصفين مرةً بوصف الإيمان عند ذكر الخروج، ووصف الإسلام عند ذكر من وجدوهم في القرية أو البيت الذي وُجد في القرية.

وقوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾﴾ [الذاريات]، فيه دليل على أنّ آيات الله سبحانه وعجائبه التي فعلها في هذا العالم وأبقى آثارها دالّةٌ عليه وعلى صدق رسله، إنما ينتفع بها من يؤمن بالمعاد، ويخشى عذاب الله، كما قال تعالى في موضعٍ آخر ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [هود:١٠٣]، وقال تعالى: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [الأعلى]، فإنّ من لم يؤمن بالآخرة غايته أن يقول: هؤلاء قومٌ أصابهم الدهر كما أصاب غيرهم، ولا زال الدهر فيه الشقاء والسعادة، وأمّا من آمن بالآخرة وأشفق منها، فهو الذي ينتفع بالآيات والمواعظ.

والمقصود بهذا إنما هو التمثيل والتنبيه على تفاوت الأفهام في معرفة القرآن، واستنباط أسراره.

يعني هنا خُتم هذا السياق المُتعلق بهذه القصة بقوله: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾﴾ ونبّه هنا ابن القيم رحمه الله تعالى أنّ الذي ينتفع بالمواعظ من يخشى عذاب الآخرة، كما في قوله: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ﴾، ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾﴾ فمن كان كذلك هو الذي ينتفع بمواعظ الإيمان وهدايات القرآن والزواجر ونحو ذلك، إنما ينتفع بها من كان يخاف ويخشى عذاب الآخرة، فإذا جاءت هذه المواعظ هزت قلبه وحركت أركانه وهيجته للطاعة وأبعدته عن المعصية والذنب.

والمقصود بهذا إنما هو التمثيل والتنبيه على تفاوت الأفهام في معرفة القرآن، واستنباط أسراره، وإثارة كنوزه، واعتبر بهذا غيره، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء.

يعني هذا مثال أراد أن يذكره حتى يُحرك في قلب طلاب العلم - وهو كتبها لطلاب علمٍ رافقوه في طلب العلم وساروا معه في طلب العلم - أن ينهضوا بأنفسهم إلى أن تحصل منهم مثل هذه العناية بالقرآن وتدبره واستخراج كنوزه ومعانيه، تحقيقًا لقول الله ﷻ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [محمد:٢٤]، وقوله: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ﴾ [المؤمنون:٦٨]، وقوله: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص]، وأؤكد في الختام بما بدأتُ به، أنّ هذا الباب باب التدبر لابد أن يُضبط بقواعد أهل العلم وأصولهم، وكتبوا في

ذلك كتابات عظيمة جدًّا، وابن القيم له قواعد في التفسير مبثوثة في مواطن من كتبه، وبخاصة كتاب «بدائع الفوائد»، وابن القيم له مقدمة في أصول التفسير نفيسة جدًّا، والشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ أشرت إلىٰ كتابه «القواعد الحِسان لتفسير آي القرآن»، فهذه القواعد تضبط المرء حتىٰ لا يجنح وتزل به القدم، وإلا كما ذكرت لكم في زماننا هذا حصلت غرائب وعجائب في ما يسمونه زعمًا تدبر للقرآن، واستخراج أسراره وكنوزه.

يعني أذكر من غرائب ما يُذكر في هذا الباب: رجل في فترة مضت قال: قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ [الأعراف:١٨٧]، قال: هذا سر كشفه هو بزعمه ﴿بَغْتَةً﴾ يقول: هذه في حساب الجُمّل ألف وأربعمائة وسبعة، واستنبط من أسرار هذه الآية أنّ الساعة تقوم ألف وأربعمائة وسبعة، قال هذا بحساب الجُمّل ﴿بَغْتَةً﴾ تساوي ألف وأربعمائة وسبعة، قال: والساعة تقوم عام ألف وأربعمائة وسبعة، نحن الآن في ألف وأربعمائة وأربعين مضىٰ علىٰ كلامه سنوات طويلة، فمثل هذا غرائب كثيرة جدًّا، تكلفات، وقول علىٰ الله بلا علم، وتكلف أيضًا في باب الأرقام الآن كثير جدًّا، يعني تكلفات يعني ما أنزل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بها من سلطان، ولا تراها في هدايات السلف وتفاسيرهم لكتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لكن تكلفات بُلي الناس بها في هذا الزمان.

أقصد من ذلك أن يُحذر مثل هذا التكلف، وأن يربأ الإنسان بنفسه أن يقول علىٰ الله وفي كتابه بلا علم، ويحرص علىٰ الارتباط بكلام الأئمة وأهل العلم وقواعدهم في تفسير القرآن، يقرؤها ويتأملها، حتىٰ يكون الأمر منضبطًا، لا أن يجنح بنفسه إلىٰ أن يقول في كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بلا علم، زعمًا منه أنّ هذا من التدبر للقرآن، ناهيك عما يحصل عند بعضٍ منه حتىٰ العقائد الخاطئة الفاسدة التي يزعمون بهتانًا وظلمًا أنها من هدايات القرآن، أو من المعاني المُستنبطة من هدايات القرآن.

نسأل الله الكريم أن ينفعنا أجمعين بما علّمنا، وأن يزيدنا علمًا وتوفيقًا، وأن يُصلح لنا شأننا كله، وألا يكلنا إلىٰ أنفسنا طرفة عين، اللَّهُمَّ آتِ نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها، اللَّهُمَّ إنا نسألك الهدىٰ والتقىٰ والعفة والغنىٰ، اللَّهُمَّ اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تُهون به علينا مصائب الدنيا، اللَّهُمَّ متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا علىٰ من ظلمنا، وانصرنا علىٰ من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا.

سبحانك اللَّهُمَّ وبحمدك، أشهد ألا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، اللَّهُمَّ صل وسلم علىٰ عبدك ورسولك نبينا محمد وآله وصحبه.